

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

### شرح حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم - في قصة قضاء دين الزبير بن العوام ١

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا هو الحديث الأخير في باب أداء الأمانة، وهو حديث أبي خبيب عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهمـ، يكنى بأبي خبيب، وهي كنيته المشهورة، وله كنياتان أخرىان: يكنى بأبي بكر، على جده لأمه؛ لأن أمه أسماء بنت أبي بكر -رضي الله تعالى عنهاـ، ويقال: إن النبي -صلى الله عليه وسلمـ هو الذي كانه بذلك، ويكنى أيضاً بأبي بُكِير، وهو أول من ولد من المهاجرين في المدينة؛ لأن المسلمين حينما هاجروا إلى المدينة زعمت اليهود أنهم سحروهم فلا يولد لهم، فولد -رضي الله تعالى عنهـ بعد أكثر من سنة من مهاجرهم، ففرح به المسلمون فرحاً شديداً، وكبروا يوم مولده؛ لأنه تبين بذلك كذب اليهود، وجيء به إلى النبي -صلى الله عليه وسلمـ وحْنَكـ، بمعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلمـ مضغ تمرة، ثم ذلك بها حنكه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق النبي -صلى الله عليه وسلمـ، وأبوه هو الزبير بن العوام بن خويلد، وجده لأبيه وهو العوام بن خويلد هو أخ لخديجة -رضي الله تعالى عنهاـ، فهي خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية، وجدها الآخر هي صفية، عمّة النبي -صلى الله عليه وسلمـ، وأخبار عبد الله بن الزبير -رضي الله تعالى عنهـ كثيرة جداً، وطويلة، فقد كان -رضي الله عنهـ من عباد الصحابة منذ نشأته، حتى إنه كما ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه اللهـ أن أطول ما بلغهم في الوصال ما جاء عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهـ، وصال الصوم بمعنى أنه لا يفتر في الليل، والمسألة فيها خلاف معروف، هل يجوز للإنسان أن يواصل؟ وهل يرخص بالوصل إلى السحر أو لا؟ فمن الصحابة -رضي الله عنهمـ من رأوا أن نهي النبي -صلى الله عليه وسلمـ كان للإرافق بهم، فكان عبد الله بن الزبير يواصل خمسة عشر يوماً، لا يأكل فيها ولا يشرب، لا ليلاً ولا نهاراً، ولما سئل كيف تصرّ على هذا؟ قال: أشرب الودك، وفي السنة الثانية لما توفي يزيد بن معاوية بويع له بالخلافة في اليمن، وخراسان، ومكة، والمدينة، ومصر، وبقيت الشام، وكاد أهل الشام أن يبايعوه، ولكن الله -عز وجلـ أراد أمراً آخر، وجاء إلى أخيه مصعب بن الزبير وهو من أجمل الناس وجهها، زوج عائشة بنت طلحة وهي من أجمل نساء العالمين، حتى إن عبد الملك بن مروان سأله من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: لا، أشجع الناس مصعب بن الزبير، خرج إلى الصف للقتال، وترك أجمل نساء العالمين، وعائشة بنت طلحة -رضي الله عنهاـ من خيار نساء التابعين، لا ما يذكره صاحب كتاب الأغاني -أعني أبو الفرج الأصفهانيـ، ولا صاحب العقد الفريد، وأمثال هؤلاء من لا يعتد بهم، ويأتي للأسف من ينقل هذا الكلام الذي يذكر في بعض هذه الكتب عن عائشة بنت طلحة وينذر به في صحيفة من غير ثبت ولا تحقق، وهي أكاذيب ملقة، يريد أن يصل إلى نتيجة أن تغطية الوجه لم تكن معروفة، وأن الرجال كانوا يدخلون على النساء من غير حرج، فالحاصل أن مصعب بن الزبير جاءه من قتل

الزبير؛ لأن الزبير -رضي الله عنه- قُتل بعد يوم الحمل، قُتل في وادي السبع، وهو المكان المعروف، الناحية المعروفة اليوم في جنوب العراق، وقتل غيلة، جاءه رجل يقال له: ابن جرموز من تميم، فالحاصل أن الرجل الذي قتل الزبير بن العوام أكلته الندامة، فجاء فسلم نفسه لمصعب بن الزبير ليقتصوا منه، فكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير حينما كان خليفة على مكة -رضي الله عنه-، كتب إليه يسأله عن ذلك، فقال: لا يقاد بالزبير، أي أن الزبير أعظم وأجل من أن نقبل به القود من هذا، دعه حتى يتأكل من الندم ويموت حسرة ويلقى جزاءه عند الله -بارك وتعالى-، فالحاصل أن أيام ابن الزبير -رضي الله عنه- يسميها كثير من العلماء: فتنة ابن الزبير، لأنه لم يستتب له الأمر بالخلافة، ونزل الحاج مكة وحاصره في أول ليلة من ذي الحجة، ووضع المنجنيق على جبل أبي قبيس، وجبل أبي قبيس معروف، وهو الجبل الذي يقابل الكعبة من ناحية الصفا، وضررت الكعبة وتخرقت، وكان ابن الزبير يخرج وهو صائم، وتفرق عنه أصحابه، ولم يبق معه إلا القليل، فكان يخرج وحده مع الكتبية، حتى يبلغ بهم الحجور المعروفة اليوم، وفي الكتبية، كان شديد البأس قويًا شجاعاً، اشتهر بالشجاعة -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، وكان يقوم الليل على الصيام وعلى القتال وعلى الحصار، -والذي حج بالناس في تلك السنة الحاج بن يوسف-، وكان عندما يصل إلى بالليل يقوم كأنه غصن، وحجارة المنجنيق تمر من جانب أذنيه، وتصب نحوه، وهو ثابت لا يتحرك، وكانوا يقولون: تخشى أن يصيبك حجر، فكان يقول: ما قدر الله -عز وجل- سيكون، والحدر لا ينجي من القدر، فوقع حجر على سارية من سورى المسجد فأصابه في وجهه أو في رأسه -رضي الله عنه-، فلما وجد حرارة الدم على قدميه قال:

فلسنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا \* \* \* ولكنْ على أقدامنا يَقْطُرُ الدَّمَا

أي: أن الجبان يضرب من الخلف فارًا منهزمًا، فالدم يسيل على العقب -مؤخر الرجل-، ثم سقط -رضي الله عنه- فتسابقوا إليه، وحزروا رأسه وذهبوا إلى الحاج، وبشروه، فسجد -قبه الله- شكرًا لله -عز وجل-، وكبر عسكر الحاج، فقال ابن عمر -رضي الله عنه- وكان بمكة، قال: الذين كبروا يوم ولادته خير من الذين كبروا يوم مقتله -رضي الله عنه وأرضاه-، ثم صلب -رضي الله عنه- وبقي مصلوباً حتى مر به ابن عمر -رضي الله عنه- ودعا له، وقال: رحمك الله أبا خبيب لقد كنت صواماً قواماً، ثم مر على أمه أسماء، وقال لها: اصبري، وإن هذه الأجساد لا يضرها ما يقع عليها بعد الموت، أي: أن الصلب والتمثيل لا يضره ولا يؤثر بعد أن مات، فذكرت أنها صابرة، وقالت: كيف لا أصبر ورأس يحيى بن زكرياء قدم لبغي من بغايابني إسرائيل؟!، فمن باب أولى أن تصبر على مثل هذا، وهكذا يبتلى أهل الفضل والصلاح، ((أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالآمن))<sup>(١)</sup>، فالحاصل أنه -رضي الله تعالى عنه- قتل، وذلك في السابع عشر من شهر جمادى الأولى، سنة اثنين وسبعين -رضي الله تعالى عنه وعن أبيه-، وهو أحد العابدة الأربع، إذا قيل: العابدة فهم: عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وبعض أهل العلم جعل بدلاً من عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود -رضي

<sup>١</sup> أخرجه الطبراني، (٤٢٥)، رقم: (٦٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة، رقم: (١٥٦٢).

الله عنهـ، لكن المشهور عند أهل العلم أنه ليس منهم، وذلك أن هؤلاء الأربعة كانوا من شباب الصحابة، وطالت مدة بقائهم بعد النبي ﷺـ، ابن مسعود توفي قبل ذلك بكثير، وهؤلاء بقوا وانتفع الناس بهم كثيراً، واستفاضت علومهم، واحتاج الناس إليهم، فإذا قيل: العادلة فهوؤلاء هم العادلة، يقال: هذا قول العادلة، وهذا اتفق عليه العادلة، أفتى به العادلة، يعنون هؤلاء، هذا طرف من أخبار عبد الله بن الزبير، والحديث طويل، أسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبهـ.